فكانت مخاطبتهُ لهم فيما يختص الطريقة الرهبانية والسير في الطريق الرياضي لبلوغ الكمال عمَّا يخصّ كل واحد. وإذا كان احدهم يسألهُ سؤالًا عن شرح ما ذُكر. فاقول حقًّا من غير ارتياب انهُ من قبل شرحه وجوابه كان كل راهب يفهم من فمه ما يخصه حسب درجته ومعرفته واحتياجه. وسلوكه مع الرهبان كان بكل وداعة مع انهُ من ذات طبعه كان مسودًا شرسًا عنيدًا برايه. لكن متى اكتشف على الحقّ كان يرجع ويقرّ معترفًا بكل تواضع لبّ. فجمع المدبرين امرارًا عديدة حكموا عليه باشياء ضد سلطانه بالذات بزعمهم لخير الرهبنة وتدبيرهم في ذلك الوقت ومن جملة ما ذكر ثلث مرات في مجامع مختلفة كان يحكم المجمع ان الاب العام ولا غيره من الرؤساء يقبل مبتدئًا. وسببه لان الديورة امتلت بل يسمحوا للاب العام ان يقبل مبتدئين حلبيين لم غيرهم الى حد خمسة انفار بشرط ان كل واحد منهم في الروحاني لم الجسداني يكون لهُ تمع بليغ للرهبنة. ومع ذلك كان يطأطئ لقولهم خاضعًا بكل سريرة مع انهم جميعهم تلاميذه وهو الذي نصب مجمع المدبرين فاستدام على هذه الطريقة الى ان خرج من دير مار اليشع الى زيارة الديورة (لها بقيّة)

نقائض جرير والفرزدق (*)

للاب انطون صالحاني اليسوعي

اذا تصفحنا في كتاب الاغاني اخبار الشعراء الثلاثة المتقدمين في صدر الاسلام الاخطل وجرير والفرزدق رأينا في ترجمة كل منهم الحكم لصاحبنا بالسبق على معاصريه. مع انهُ لم يقع إجماع على احدهم انهُ افضل. ولكلّ واحدٍ منهم طبقة تفضّلهُ على الجماعة. قال ابو الفرج الاصبهاني في ترجمة جرير: هو والفرزدق والاخطل

(*) The Nakâ'id of Jarîr and al-Farazdak, edited by Anthony Ashley Bevan M. A. Vol. I Part. 1 et 2, Leiden, Brill 1905.

المقدَّمون على شعراء الاسلام ومختلف في ايهم المتقدّم ولم يبقَ احد من شعراء عصرهم الّا تعرّض لهم فانفضح وسقط وبقوا يتصاولون. على ان الاخطل انما دخل بين جرير والفرزدق في آخر امرهما وقد اسنَّ ونفد اكثر عمره . وهو وإن كان لهُ فضل وتقدّم فليس نجره من نجار هذين في شيء. الّا انَّ صاحب الاغاني اورد في ترجمة الاخطل حكم يونس إذ سئل عن جرير والفرزدق والاخطل ايهم اشعر فاجاب: اجمعت العلماء على الاخطل. وهذا هو ايضاً حكم عمرو بن العلاء وابي عبيدة وسلمة بن عياش وغيرهم ممَّن يفصحون

فان طالعت اخبار جرير وجدتَ الحكم لهُ بانهُ اشعر الثلاثة. ومن يفضّلهُ يحتج بانهُ كان اكثرهم فنون شعر واسهلهم الفاظاً واقلّهم تكلفاً وارقّهم نسيباً وانهُ غلب في الفخر والمديح والهجاء والنسيب

امّا الفرزدق فقد قال عنهُ صاحب الاغاني ما نصُّهُ : هو وجرير والاخطل اشعر طبقات الاسلاميين والمقدَّم في الطبقة الاولى منهم. فترى انهُ فضلهُ على الجميع .

وهذا يذكّرنا بخبرٍ يبيّن ما نجدهُ من الاختلاف وتناقض الاحكام في تفضيل هذا او ذاك من الشعراء. « انشد مروان بن ابي حفصة يوماً شعر زهير ثم قال: زهير والله لشعر الناس. ثم انشد للاعشى فقال: الاعشى اشعر الناس . ثم انشد شعراً لامرئ القيس فقال: امرؤ القيس من اشعر الناس. ثم قال: والناس اشعر الناس. اي ان اشعر الناس من انشدتَ لهُ فوجدته قد اجاد حتى ينتقل الى شعر غيره » (الاغاني)

وعندي ان الذي حدا بالبعض الى تفضيل وتقديم جرير والفرزدق هو ان الاخطل كان نصرانيًّا. ولاختلاف الاديان تأثير حقيقي في الاحكام . لكن لو طالعت قصائد الاخطل لتحققت ان لهُ نفساً عالياً وشرف منطق مع فخامة في المديح وجزالة وعظمة ترفع من يمدح بل تسكر كالخمر المعتقة التي يجيد نعتها. ولهُ نظر في الوصف مع قوة في التعبير تجعلهُ يصوّر بوجيز الكلام المناظر الطبيعية كما هي فيتخيَّل لك انك تشاهدها كما في البيت الذي يرينا فيهِ الأتن الوحشية تشرب من مجرى المياه العذبة والحاظها الى الغيضة حيث تخشى الصياد متواريًا يترصدها:

يشربنَ من باردٍ عذبٍ وأعينُها من حيث تخشى روارّى الراميَ الغيلُ

وللاخطل تفنّن في الهجاء مع سطوة وإقدام وطعن مؤلم خالٍ من الفحش الدني الذي اعتاده جرير والفرزدق. فيسقي عدوّه سمًا زعافًا مدوفًا بماء الذهب. وناهيك عن رقة نسيبه الفتان فان مصدره القلب لا كنسيب جرير الصادر عن اللسان

ومهما كان الامر فلا خلاف في ان الثلاثة لهم الفضل على سائر الشعراء الذين نبغوا بعد الجاهليّة. فمطالعة قصائدهم تفيد جدًّا لمعرفة الشعر القديم وللتبحر في العربيّة

هذا وانّ آمن واحسن طريقة لتعلم ايهم فاز بقصب السبق هي مطالعة ومعارضة اشعارهم فان القدماء ممن حكموا بالفضل لهذا او لذاك لم تكن لديهم مجموعة دواوينهم لان مثل هذه النسخ كانت نادرة الوجود. فكانوا يحفظون قصائدهم وينشدونها وكانوا عند سماعهم بعض ابيات مستجادة يحكمون لصاحبها بالسبق. فاذا سمعوا ابياتًا حسنة لشاعر آخر حكموا له بالفضل

امّا الآن وقد اصبحت اشعارهم مطبوعة تتداولها ايدي الجميع فاضحى الانصاف في الحكم اسهل لانهُ يمكننا ان ندعمه بالبينات و شواهد من مجموع القصائد لا من بيت او بيتين

فهذا ديوان الاخطل طُبع منذ ١٦ سنة بمطبعتنا الكاثوليكيّة بحرف جميل نظيف مضبوطًا بالشكل الكامل مع شرح وافٍ. وقد طُبع ايضًا ديوان جرير منذ ١٢ سنة بمصر لكن طبعًا سقيمًا بأحرف غير جلية وبدون شرح ولا شكل. مع انهُ يوجد في المكتبة الخديويّة نسخة خطية من ديوان جرير ونسخة خطية حديثة من نقائض جرير والفرزدق ضافيتا الشروح. فما كان اسهل على طابع اشعار جرير ان يعتمد على هاتين النسختين في تعليق الحواشي وضبط الابيات بالشكل. وطُبع ايضًا ديوان الفرزدق في اوربّة لكن معظمه طُبع بتصوير النور على طريقة تتعب نواظر القرّاء فتحار العيون بين هذه الاسطر الدقيقة المتقاربة والحركات المشتبكة فلا يلبث القارئ ان يطرح الكتاب جانبًا لما يلاقي من التعب في مطالعته

وعليهِ فقد تلقينا بالبهجة والثناء الهدية التي اتحفنا بها المسيو بريل الطبّاع الشهير الذي نشر بالطبع كتبًا عربيّة اكثر ممّا نشرت كلّ مطابع اوربّة. وقد طبع مؤخرًا نقائض جرير والفرزدق بقطع كبير (٣١ س × ٢٤ س) وهامش عريض مع سعة بين

السطر والسطر وبين الكلمة والكلمة فيرتاح القارئ في المطالعة وتنصرف عنايته الى درس وتفهم المعاني. وقد تولّى نشر هذا الاثر الجليل العلّامة بيڤن من اساتذة كلية كمبريدج في انكلترة فضبط بالشكل الكامل الابيات واختار لها حرفًا كبيرًا ممتازًا. واتبع كل بيت بالشروح وانتقى لها حرفًا اصغر. واثبت في آخر كل وجه الروايات المختلفة مع تعيين مصادرها. وقد نجز الى الآن جزءان من النقائض يحتويان معًا ٣٤٢ صفحة ما عدا مقدمة ذات ٢١ صفحة كُتبت بالانكليزيّة. فننتظر بفروغ صبر تكملة الكتاب

لا احد يجهل ان النقائض تحتوي اشهر بل عيون قصائد جرير والفرزدق لان حياتهما انما فنيت في المنافسة والمعاداة والمناقضة. فالنقائض تمثل لنا قسمًا كبيرًا من ديواني هذين الشاعرين. وهكذا استغنينا عن طبعة ديوان جرير السقيمة وعن طبعة ديوان الفرزدق العقيمة

اعتمد العلامة بيڤن المدقق على ثلاث نسخ من النقائض محفوظة الاولى منها في مكتبة البودلية بكلية اكسفورد. والثانية في خزانة كتب المتحف البريطاني. والثالثة في كتبخانة كلية استراسبورغ. والحق يقال اننا قلّما رأينا ديوان شعر محلّى بشروح وافية كشرح نقائض جرير والفرزدق. فان الشارح لا يقتصر على تفسير المفردات بل كثيرًا ما يؤدي مجمل معنى البيت. وهذا امر لا يقدم عليه الّا الشارح المتضلع. ومما يجدر ذكره هو ان الشارح اتى بقصص بعض الحوادث وايام العرب التي ورد ذكرها في النقائض فوجدناها وافرة وافية

والنقائض هي رواية ابي عبد الله محمد بن العباس اليزيدي المتوفى سنة ٣١٠ للهجرة عن الحسن بن الحسين السكري المتوفى سنة ٢٧٥ هـ عن ابي جعفر محمد بن حبيب المتوفى سنة ٢٤٥ هـ عن ابي عبيدة مَعْمَر بن المُثنّى التيمي المتوفى سنة ٢٠٧ هـ (راجع اللسان ١٧ : ٢١٥)

وقد استعان ايضًا العلامة بيڤن بكتب عديدة ذكر اسماءها في المقدمة واقتبس منها افادات وروايات مختلفة. وكنّا نودّ لو اثبت بتصوير النور وجهًا من كل من النسخ الثلاث التي اعتمد عليها لنعلم حالتها من حيث الخط والحركات والقدم لان في مثل

هذه الامور لمحة بسيرة الى النسخة الادبية التي أكثر بالرغوب وتغني عن تفاصيل طويلة

هـذا وان النقائض تساعد على ايضاح بعض المشاكل التي تعترض في دواوين الاخطل وجرير والفرزدق. نبيّن ذلك ببعض الامثلة:

قال الاخطل في السطر ٨ من الصفحة ٢٢٤ من ديوانه:

بمعرضٍ او مُعيدٍ او بني المُطَنَّى ترجو جريرٌ مساماتي واخطاري

فمن هذا البيت لا يعرف اذا كان المعرض والمعيد اسمي علم. وفي نسخة بغداد للاخطل (السطر ١٢ من الصفحة ١٣٧) ما يشير الى ان هذين الاسمين هما اسما علم. قال الشارح: «هؤلاء بنو كليب وأحدهم كان ضعيف العقل». وفي النسخة اليسنية (٢٩ السطر ٣) يروى: «بمعرضٍ او عُبَيْدٍ او بني المُطَنَّى». اما نسخة النقائض فانها توضح وتحقق ان المعرض والمعيد هما شخصان بعينهما من بني المطنى. قال غسّان ابن ذُهيل السَّليطي (الصفحة ٧ السطر ٣) يعيّر جريرًا بضعف قومه في الحرب:

سَتَعْلَمُ ما بنو مُعَيْدٍ ومُعرِضٌ اذا ما سَليطٌ غرَّتك بُجورُها

وفي الشرح: «مُعَيْد جدّ جرير ابو أمه وأمّهُ ام قيس بنت معيد بن عُتيم بن حارثة ابن عوف بن كليب ومعرض من اخواله وكان يُحمَق»

المثل الثاني: قال الاخطل (١٩٣ السطر ٦):

ازبّ الحاجبين بعَوْفِ سَوْءٍ من الحيّ الذين على قَنانِ

فنسخة بطرسبرج لم تفسّر ما هو قنان. وفي النسخة البغداديّة (ص ١٥٠ س ١٣) انهُ «جبل معروف». اما نسخة النقائض فتصرّح (ص ٣٩ س ١١) بان «القنان جبل لبني قُشَير من بني اسد». وروت الساعدين عرض الحاجبين

وتفيدنا النقائض اصلاح بعض اغلاط في دواوين الاخطل وجرير والفرزدق كما ان دواوينهم تعين على اصلاح بعض اغلاط في النقائض. مثلًا في هذا البيت (النسخة البغدادية ص ١٧٠ س ١٣ والنقائض ١٤٢ س ١١)

يومٌ قَناعةَ مجدومٌ مناطِسُها وهو اشمّ ترى في راسهِ صيَدا

روت النقائض «يرمي» عوض «يوم» وهـذه الرواية هي الصحيحة. واكتفت

النسخة البغدادية بان قالت ان « هذا يوم المنافرة » . امّا نسخة النقائض فانها اتت بقصّة هذا اليوم في اربع صفحات . وهو يوم المنافرة بين جرير بن عبد الله البجليّ وخالد ابن ارطاة

وقد افادتنا ايضاً النقائض تحقيق واثبات مسألة حررناها في القسم الخامس من ديوان الاخطل المهيأ للطبع . وهي ان القطعتين المثبتين في الصفحة ٢٧٥ و ٢٨٤ من ديوان الاخطل كانتا في الاصل قصيدة واحدة فتدت نسيها ثم انشطرت قسمين بخطأ او جهل الناسخ كما هي الآن . اراد الاخطل في هذه القصيدة هجاء جرير وتفضيل الفرزدق وقومه بني دارم على بني يربوع قوم جرير ولذلك رفع اولاً شأن الثعلبيين الذين كانوا اغاروا على بني يربوع يوم ذي بَيض او يوم الحضيات (او الصهيبات كما في نسخة بغداد ص ٨١ س ٣) ثم مدح الدارميين لانهم انقذوا بني يربوع . وعليه يلزم تصحيح كلمتي التغلبيين والتغلبي (ص ٢٧٦ س ٢ و ٢٨٤ س ٦ و ٢٨٥ س ١) بكلمتي « الثعلبيين والثعلبي » لان الذين اغاروا على بني يربوع هم من بني شيبان بن ثعلبة . ولا يبعد ان يكون الاخطل عنى بالحية (ص ٢٨٥ س ٢) الحوفزانَ الحرث بن شريك رئيس القوم الذين كانوا اغاروا على بني يربوع واسره حنظلة بن بشر احد الدارميين .

وكانت النسخة البغدادية أيدت هذا التفسير اذ قالت (ص ٨١ س ٣) : « هذا يوم ذي بيض واغار الحوفزان الشيباني على بني يربوع فقطع منهم طرفاً فاتى الصريخ بني دارم فلحقوا الحوفزان واستنقذوا ما في يديه »

وقد حقّقت النقائض (ص ٢٨٥ س ٧ و ص ٢٨٦ س ١٠ و ١٥) هذا الشرح بابيات قالها الفرزدق في نقيضة يهجو بها جريراً :

لو تعلمونَ غداةَ يُطرد سِبْكُمُ بالسفح بين مُلَيحة وطِحالِ
والحوفزانُ سَوَوْمُ افراسُهُ والمُحصَنات يبُلنَ كلَّ مجالِ
حتى تداركها فوارسُ مالكٍ ركضاً بكلّ طُوالةٍ وطُوالِ

وقال ابو عبيدة شارح النقائض « اغار الحوفزان بن شريك على بني يربوع بذي بَيض فسبى واخذ الاموال . . . قال واسر حنظلةُ بن بشر . . . بن دارم الحوفزانَ بن شريك ثم منّ عليه بلا فداء وردّ ما كان في يديه من المال على بني يربوع » . فهذا قول الاخطل :

هم انقذوا يوم المُغيبات سيكم وابناء رهط اكلب قُرعُ المبارك
فردتم حذارَ الشليين اذ سروا بأرعنَ طودٍ مشمخرِّ الحوارك

وهذا القدر يكفي

وقبل ان ننهي الكلام نرغب الى المسيو بريل ان يصلح او يبدل بعض الحروف التي يستعملها للطبع فان نقطها لا تكاد تظهر ولو استعنّا بالمجهر وذلك لدقتها. ولصوقها بالحرف مثل نقطة الباء والجيم والضاد والغين. وهذا في كل صفحات الكتاب ولذلك تصعب القراءة وتفقد لذة المطالعة. ولنا الامل ان المسيو بريل يعير ملاحظتنا هذه اذناً صاغية

فنمحض العلامة بيڤن والمسيو بريل خالص شكرنا ونتمنّى لهما اتمام العمل في الاجل القريب خدمة للعلماء والعلم

الاعتراف في اوائل النصرانيّة

للاب يوسف خليل اليسوعي

اجتمعنا يوماً برهطٍ من الفضلاء فتجاذبنا اطراف الحديث في امور شتّى حتى افضى بنا الكلام الى بعض عقائد الدين المسيحي فابدى لنا احد الحاضرين ما يخالجهُ من الشكّ ويعترضهُ من المرية في امر الاعتراف فقال: بلغني عمّن يُوثق برأيهم ويُسكن الى علمهم انَّ لا أثر لهذا السرّ في اوائل النصرانيّة وان الكنيسة لم تعلمهُ ولم تعرفهُ في خلال القرون الاولى. انّما اختلقهُ في الجيل الخامس او السادس اهل المآرب والغايات وتضافروا على نشرهِ بين السذّج. وبعبارة اخرى: كل من حاول إثبات وجود هذا السرّ عند النصارى الاقدمين ورام الاستناد بذلك على تصرّف آباء الكنيسة ومعلميها واترابهم في العصور الاولى يتحرّى الحال فيُردُّ بالخيبة. فني بادئ بدء لم نعجب من هذه المزاعم ولم نحفل بها لانها محض اكاذيب وترّهات وقفنا عليها مراراً في كتب الملحدين ودحضها عدد عديد من العلماء الاثبات انّما:

لقد اسمعت لو ناديت حيّاً ولكن لا حياة لمن تنادي

فاجبنا في الحال بما رأيناهُ صواباً وما انفرط عقد المجلس حتى لبّينا اقتراح لفيف